

التحديات التي يواجهها لم يشهد لها من قبل فاعور: لبنان سيتغير ديموغرافياً خلال عشر سنوات

نتيجة اعتماد السياسات الفاشلة في الحكم، يسعى المجتمع الدولي اليوم من خلال الدعم المالي الى تثبيت النزوح السوري ودمج اللاجئين، بحيث ترتفع سنويا اعباء وتكلفة اقامة النازحين التي باتت تفوق 45 مليار دولار، وهي توازي اكثر من عشرة اضعاف المساعدات الدولية

تجري عمليات دمج النازحين السوريين في مختلف المناطق اللبنانية نتيجة اصرار الجمعيات والمنظمات الدولية المنتشرة على الاراضي اللبنانية ومساندتها، وهي توازي استعادة التجربة المعتمدة في ادارة ملف اللاجئين الفلسطينيين من خلال التوطين القائم على الاراضي اللبنانية منذ 74 سنة. ورغم ازماته المتعددة، تستمر الضغوط الدولية على لبنان لمنع اعادة النازحين السوريين وتوطينهم في عملية الدمج المتواصلة والمعتمدة منذ اكثر من 11 سنة، بحيث يتم تأجيج الصراعات الداخلية واستغلال حاجة القيادات اللبنانية الى غطاء دولي يحميها، ما يسهل ويسرع عملية تثبيت التغيير الديموغرافي الواسع عبر اغراق لبنان في مزيد من الفوضى والمزيد من الانهيار. وهو ما تحدث عنه لـ"الامن العام" بلغة الارقام والمعلومات والبحث العلمي عضو المجلس الوطني للبحوث العلمية الدكتور علي فاعور، استاذ الجغرافيا والعميد السابق في الجامعة اللبنانية، مركزا على اختلال التوازن وتعديل الصيغة اللبنانية المتنوعة القائمة بين الطوائف، بحيث بات الوجود المسيحي في خطر والسنوات المقبلة سوف تغير وجه لبنان.

■ عرف لبنان في مراحل المتعددة تغييرات ديموغرافية نتيجة عوامل متعددة، هل هناك تشابه بين العوامل السابقة والحالية ام لكل حالة ظروفها؟
□ يعتبر لبنان البلد الوحيد في العالم

الذي ما زال يعتمد سجلات احصاء 1932 للسكان في لبنان، وهو التعداد الرسمي الوحيد الذي تم انجازه حتى الان، بحيث جرى اعتماده كركيزة اساسية في بناء الدولة، ثم توزيع التمثيل السياسي فيها بين الطوائف. وتعتبر الحالة الاحصائية في لبنان، من حيث عدد السكان والقوى البشرية، حالة فريدة مقارنة بمعظم الدول. اما التحدي الاساسي اليوم، وبعد انقضاء فترة 90 سنة على التعداد السكاني الاول، فهو في كشف الحقائق والارقام عن اعداد السكان المقيمين في لبنان ويعيشون على ارضه من جنسيات متنوعة، لبنانيين وغير لبنانيين، وبخاصة بالنسبة الى الهجرات غير الشرعية من العمال العرب والاجانب وعدد المكتومين من الاطفال وعديمي الجنسية. يعيش في لبنان اليوم نحو 8 ملايين ساكن، بحيث ان نحو نصف المقيمين على الاراضي اللبنانية هم من غير اللبنانيين، فهو مثابة مخيم كبير يضم النازحين السوريين وعددهم يزيد على 2,5 مليون نسمة (يشمل العدد المسجلين وغير المسجلين بطرق غير شرعية)، بالاضافة الى اللاجئين الفلسطينيين وعددهم نحو 500 الف لاجئ (مع اللاجئين من سوريا)، والعراقيين، وغيرهم من العمال العرب والاجانب، الى عشرات الالاف من عديمي الجنسية والمكتومين والاطفال من امهات لبنانيات من دون جنسية (حوالي 300 الف حالة). وهذا ما يجعل عدد الموجودين غير اللبنانيين في لبنان يتراوح بين 3 ملايين و700 الف و4 ملايين

عربي واجنبي. منذ سنوات يتعرض لبنان لاستنزاف موارده البشرية، وقد ادت موجات الهجرة خلال السنوات الثلاث الماضية (2020-2022)، الى خسارة لبنان بين 7 و 10 في المائة (ما بين 250 و 300 الف مهاجر) من اللبنانيين المقيمين على ارضه، والبالغ عددهم بحسب احصاء ادارة الاحصاء المركزي نحو 3 ملايين و862 الف نسمة، بينما غالبية المهاجرين من الشباب اصحاب الشهادات الجامعية، وكذلك من الاطفال الذين تقل اعمارهم عن 18 عاما، بحيث بات لبنان الدولة الاولى في العالم من حيث تناقص عدد السكان (بحسب بيانات اليونيسيف حول معدل النمو السكاني في العالم لعام 2020).

■ العامل الاقتصادي كان من الدوافع الاساسية هل ما زال مستمرا بالتأثير ذاته؟

□ احتل لبنان عام 2016 مرتبة متقدمة جدا على المستوى الدولي، من حيث العمر المتوقع للانسان والذي بلغ 81 عاما، كما جاء تصنيفه في المرتبة 23 في العالم من حيث كفاية الرعاية الصحية، وذلك الى جانب دول مثل السويد وسويسرا. لكن وعلى مدى الاعوام الثلاثة الماضية، تعرض لبنان لازمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ادت الى انهيار اقتصادي ومالي واسع، وتفكك شبكات الامان الاجتماعي وتآكل الطبقة الوسطى، وشلل المؤسسات السياسية والادارية، ثم ارتفاع معدلات التضخم وغلاء المعيشة وتراجع القدرة



عضو المجلس الوطني للبحوث العلمية الدكتور علي فاعور.

الشرائية نتيجة انهيار العملة الوطنية، وانتشار الفقر على نطاق واسع ليشمل اكثر من 90 في المئة من السكان، مما سرّع وتيرة هجرة الشباب من الجامعيين والاطباء والمهندسين واصحاب المهارات العالية، وهي تشكل خسائر جسيمة تقدر بمليارات الدولارات.

■ ماذا عن تأثير الحروب المتتالية ومعها الاجتياحات الاسرائيلية في حصول هذا التغيير؟

□ منذ اعلان دولة لبنان الكبير في 1 ايلول 1920 وطوال نحو 100 عام، فشل النظام السياسي في تنظيم جغرافية لبنان في حدودها الحالية رغم مساحته الصغيرة. وبدل ان يتحول الموقع الجغرافي الى نعمة للبنان، حلت لعنة الجغرافية على اللبنانيين بفعل الانقسامات الداخلية والنزاعات في الشرق الاوسط. وهي مستمرة نتيجة ضعف السلطة السياسية في تنظيم الاراضي وحماية الحدود، فقد عرف لبنان موجات استقبال لاجئين متعددي الجنسية. فشهد موجات اللجوء الفلسطيني منذ نكبتي 1948 و1967،

الفلسطينيين، ثم اتت موجة الهجرة العراقية، اضافة الى حركة تهريب ناشطة من دول افريقية عبر شبكات متخصصة، كما كانت حال العمال المصريين الذين كانوا يتسللون من مصر والسودان الى سوريا فلبنان، قبل الحرب السورية.

■ هل لمراسيم التجنيس دور اساسي في تغيير وجه لبنان ديموغرافياً؟
□ تتزايد بمرور الزمن اعداد المجنسين من غير اللبنانيين، بحيث يتصدر ملف المجنسين الاولوية بالنسبة الى مسألة التكاثر السكاني السريع والتغيير الديموغرافي المتسارع في لبنان، ويمكن تعداد بعض المراسيم التجنيس التي بدأت تتزايد خلال العهود الرئاسية الاخيرة في لبنان.

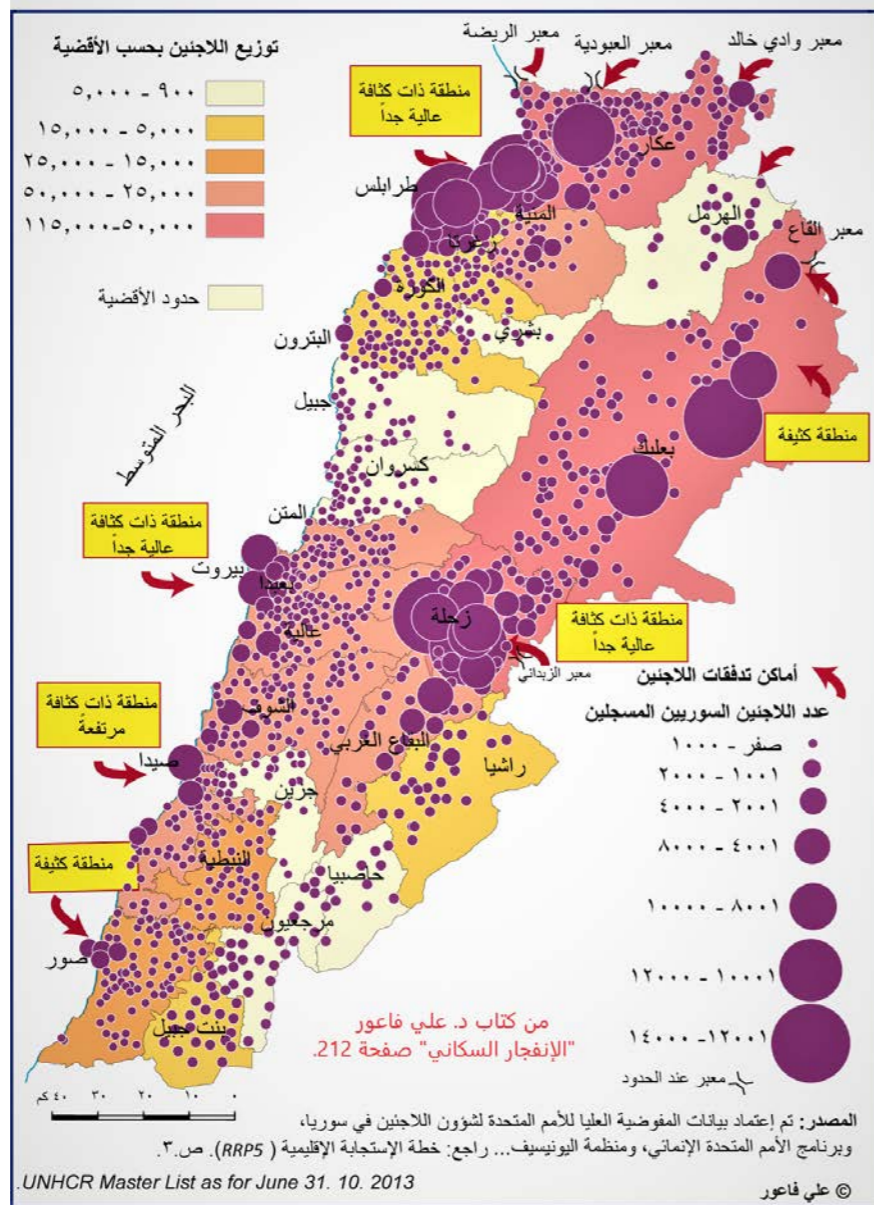
1- مرسوم تجنيس عام 1994 يعتبر ملف المجنسين عام 1994 من اهم الملفات فقد بلغ العدد الاجمالي للذين نالوا الجنسية عام 1994 هو 202527، وقد توزع المجنسون على 80 دولة من مختلف انحاء العالم. عام 1994 تقدمت الرابطة المارونية من مجلس شوري الدولة بطلب ابطال المرسوم المذكور. وفي عام 2003، اي بعد انقضاء ما يزيد عن 9 سنوات على طلب الرابطة المارونية، صدر قرار عن مجلس شوري الدولة باحالة الملف على وزارة الداخلية لاعادة النظر في المرسوم المذكور في سبيل الرجوع عن القرارات التي منحت الى بعض الاشخاص الجنسية اللبنانية من دون وجه حق، او التي اكتسبها اصحابها من طريق الغش والتزوير، او التي تعتبر مخالفة للدستور او مخالفة بصورة فادحة للقانون. وتشير تقديرات الى ان عدد المجنسين عام 1994 ارتفع عددهم ليلخ بين 350 و400 الف نسمة عام 2017، وهم يشكلون حالة استثنائية كون غالبيتهم من المسلمين، مما ادى الى حدوث خلل في التوازن الديموغرافي، بحيث يزيد عددهم اليوم على 500 الف نسمة.

لبنان بات خزاناً
بشريا كبيرا قابلا للانفجار

سيصبح لبنان البلد
الاقدم في المنطقة
ونسبة سكانه فوق
65 سنة ستبلغ 23%

وبعدها موجات التهجير والهجرة طيلة سنوات الحرب اللبنانية، ثم تبعتها موجات هجرة واسعة نتيجة الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان، وبخاصة بعد عدوان تموز عام 1976، وصولا الى عام 2011 تاريخ بداية الازمة السورية والتي نجم عنها تدفقات النازحين الى لبنان، وهي قد توافقت مع موجات لجوء واسعة من مخيمات سوريا من

خريطة 4-7: التوزيع الجغرافي للاجئين السوريين في لبنان



خارطة تبين انتشار النازحين واللاجئين على الاراضي اللبنانية.

قياسا باعداد الجنسيات الموجودة على ارضه؟

□ تعتبر الحالة الاحصائية في لبنان فريدة مقارنة بمعظم الدول في العالم، فهو بلد الهجرات الوافدة والمغادرة، حدود مفتوحة لجنسيات مختلفة عربية واجنبية من اكثر من 188 دولة حول العالم. اضافة الى النزوح السوري

ازمة النزوح السوري هي الاكبر التي يواجهها لبنان منذ اعلان دولة لبنان الكبير

الكثيف والنزوح العراقي، الى اعداد اللاجئين الفلسطينيين من سوريا وكذلك المقيمين في لبنان منذ عام 1948. كل هذا يعني ان عدد سكان لبنان بات يقارب 8 ملايين ساكن تقريبا، وهو رقم غير مسبوق في تاريخ لبنان. اما عدد المقيمين على الاراضي اللبنانية من غير اللبنانيين، فيتبين بحسب التقديرات التي اجريناها، ان مخزون المقيمين العرب والاجانب يبلغ نحو 3,720,000 نسمة، بحيث بات لبنان اليوم اشبه بخزان كبير قابل للانفجار يضم النازحين واللاجئين، مع عديمي الجنسية، والعمال المهاجرين، والمهاجرين غير الشرعيين على اختلاف جنسياتهم.

■ نتيجة التغييرات الجذرية ديموغرافيا الا ترى ان لبنان امام خطر وجودي كوطن وككيان؟

□ تخيلوا كيف ستكون الصورة، وكيف ستصبح الارقام بعد 10 سنوات؟ او ماذا سيحدث عندما ينفجر هذا الخزان، وكيف سيؤثر هذا الحدث على لبنان؟ سيؤدي ذلك الى اغراق لبنان في الفوضى بالكامل، ناهيك بالتداعيات الاقتصادية والامنية البالغة التعقيد التي ستنتج عن ذلك، وستناول اثارها اوروبا والعالم. لا شك ان هناك سيناريوهات للتوطين تتم دراستها ضمن مشروع خارطة الشرق الاوسط الجديد، وهي اكثر رعبا كونها تهدف الى توتير الداخل لتغيير التوازن الديموغرافي في لبنان، بحيث ان الاولوية اليوم هي لمعالجة ملف النازحين كما يحصل في غالبية البلدان الاوروبية وبخاصة في تركيا والمانيا، بحيث ان طريق العودة في لبنان قد باتت سالكة وهي في حاجة الى توافق داخلي وقرار سياسي موحد، وذلك على قاعدة ان انشاء مناطق آمنة في سوريا وبرعاية دولية كما يجري اليوم، تقابلها عودة آمنة للنازحين في لبنان.

وشبكات الاتجار بالبشر والتهريب في البر والبحر عبر قوارب الموت، بحيث ان التركيبة السكانية الحالية تشكل مجتمعا ضعيفا وبيئة قابلة للانفجار.

■ هذا التغيير الديموغرافي يؤثر على كل المكونات اللبنانية، هل هناك تأثير على مكون اكثر من آخر؟

□ يتبين بحسب التوقعات السكانية في العالم انه في عام 2050 سيكون لبنان البلد الاقدم في المنطقة، حيث يمثل كبار السن (فوق 65 سنة) نحو 23% من السكان. وبالتالي، فان هذه الحصة ستزداد باكثر من الضعف عن النسبة الحالية البالغة 11%، وهي بالفعل اعلى نسبة في العالم العربي.

■ ماذا تعني شيخوخة الوجود المسيحي في لبنان؟

□ يتبين عند الدخول في التفاصيل لاجزاء الخارطة السكانية، والتوزيعات المكانية للسكان في منطقة جبل لبنان وبين الضاحية الجنوبية وبقية المناطق، ان الاعداد المتزايدة للسكان في لبنان تكاد تنحصر في المناطق ذات الاغلبية المسلمة، بينما يتناقص عدد اللبنانيين المقيمين في لبنان، وبوجه خاص تراجع اعداد المقيمين في المناطق ذات الاغلبية المسيحية. هذا ما كشفتته دراسة "مسح القوى العاملة والاحوال المعيشية للأسر في لبنان"، التي نفذتها ادارة الاحصاء المركزي بالتعاون مع منظمة العمل الدولية والاتحاد الاوروبي، عام 2018، اذ تبين ان متوسط عدد افراد الاسرة اللبنانية قد انخفض من 4,6 في عام 2004، الى حدود 3,6 اشخاص عام 2018، وهو قد بات دون مستوى الاحلال (الخط الاحمر 2,2 طفل للمرأة الواحدة)، وذلك نتيجة انخفاض الخصوبة العامة.

■ هل صار اللبنانيون اقلية في لبنان

يقيمون خارج المخيمات). تشير الارقام المتوافرة لدى منظمات الامم المتحدة المختصة، لاسيما وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى (UNRWA) الى ان عدد اللاجئين المسجلين لدى الوكالة يقارب 450000 لاجئ يضاف اليهم حوالي 31000 لاجئ فروا من الحرب الدائرة في سوريا ولجأوا الى لبنان.

■ الا ترى ان النزوح السوري هو الاخطر على الواقع الديموغرافي اللبناني؟

□ تمثل ازمة النزوح السوري اكبر ازمة يواجهها لبنان منذ اعلان دولة لبنان الكبير عام 1920، واكبر ازمة تواجهها المنطقة منذ اعلان سايكس بيكو قبل 100 سنة. كما انها من حيث عدد الدول المشاركة فيها، اكبر ازمة في التاريخ الحديث، واكبر ازمة واجهتها المفوضية العليا للاجئين منذ قيامها عام 1950، واكبر ازمة يواجهها صندوق الاغذية العالمي منذ تأسيسه عام 1962. ارقام مخيفة في الخرائط، ولبنان فقد القدرة على الاستيعاب: ففي مقارنة لتوزيع المحليات وتجمعات النازحين في القرى والمدن، تبدو الخرائط مخيفة من حيث انتشار المخيمات، ثم نشوء وتمدد عشوائيات ومحليات جديدة كانت تنمو كالقطر وتتوسع طوال السنوات الـ11 الماضية، بينما لا يملك لبنان بيانات مفصلة عنها توضح ارقامها من منظور توزيع الطوائف ثم استقرار البيئة وتأثيرها في التوازن الطائفي القائم والتغيير الديموغرافي المتسارع في بعض المناطق، بحيث يخشى ان تتحول الى قنابل متفجرة تهدد الامن والاستقرار نتيجة تدهور معيشة النازحين السوريين بسبب تفاقم حجم الفقر من جهة (96 في المئة من اسر اللاجئين تحت خط الفقر) وتراجع حجم المساعدات من جهة اخرى، ثم تزايد مسلسل الجرائم

2- ثلاثة مراسيم تجنيس. الاول في 22 اذار 2013 منح الجنسية اللبنانية لـ112 شخصا. والثاني في 22 اذار 2013 منح الجنسية اللبنانية لبطيريك الروم الارثوذكس مار يوحنا العاشر اليازجي (سوري الجنسية). اما الثالث فقد صدر عشية انتهاء ولاية الرئيس سليمان في 19 ايار 2014 ومنح الجنسية اللبنانية لـ644 شخصا من جنسيات مختلفة والى كثر من مكتومي القيد وحاملي بطاقات قيد الدرس.

3- مرسوم تجنيس عام 2018، وقعه رئيس الجمهورية العماد ميشال عون بمنح الجنسية اللبنانية الى حوالي 411 شخصا (ثلثهم من المسيحيين وثلثهم من المسلمين، ونصفهم من السوريين والفلسطينيين) وكذلك من الجنسيات السورية والفلسطينية والاردنية والعراقية واليمنية والتونسية والايرائية والاميركية والتشيلية والامانية والبريطانية والهندية ومن مكتومي القيد.

■ كيف اثر اللجوء الفلسطيني على التوزيع الديموغرافي في لبنان؟

□ يستضيف المجتمع اللبناني منذ اكثر من 60 عاما اللاجئين الفلسطينيين والموزعين في 12 مخيما والاراضي المجاورة لها، ناهيك بالنازحين السوريين واللاجئين العراقيين نتيجة الاوضاع الامنية في دولهم. كما يسجل وجود اعداد كبيرة من العمال الاجانب على الاراضي اللبنانية. اجرت الحكومة اللبنانية بواسطة لجنة الحوار اللبناني - الفلسطيني الاحصاء الاول من نوعه لتعداد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في لبنان، الذي شمل 12 مخيما و135 تجمعاً غير رسمي، وبلغ عدد اللاجئين المقيمين في تلك المخيمات والذين شملهم الاحصاء ما يقارب 200,000 الف لاجئ. (لكن التقديرات العامة تشير الى ان نسبة اكثر من 55 في المئة من اللاجئين الفلسطينيين